الرِسَالَةُ

﴿ المُجبِرَةُ لِلأفئِدَةِ المُتعَثِرَة ﴾

من تأليف و تصميم : ضياء الدين ملوك

المقدمة:

الحمد لله كما يليق لعظمته وجلاله، وسبحانه وتعالى الكامل في أسمائه وصفاته، نسأله من فضله الواسع وتمام رضوانه، ونعوذ به من سخطه وخذلانه، ثم الصلاة والسلام على من كلفه الله بنشر رسالته وتبيانه، أما بعد:

فكما لا يخفى على عبد عاقل مبصر بما حوله، أنه من أخطر ما قد يصيب المرء من بعد جهله بالعقيدة السليمة، وهو ما يجده من الهم والحزن، فإن عجز الشيطان إزاغة قلبه عن الحق من باب اتباع الهوى والجهل بما أنزله الله، جاهد بكل ما أوتي - وهي آخر ما يملك ليضله - على أن يدخل في قلبه شيئًا من أمراض القلوب، لأنها تُحبط الهمة، وتكسب الوهن، وقد تورث ما هو أسوأ وأشد شرًا، ألا وهو ظن السوء بالله وأنه ليس حكيمًا في قراراته ولا مبصرًا بحال مخلوقاته، تعالى الله عن هذا البهتان.

وقد منَّ الله عليَّ بجمع ما يسَّره لي من علم وما أناره لي من بصيرة في هذا الكتيب، ليكون - بإذن الله - جلاءً وجبرًا لكسور القلوب وأمراضها، ومعيدًا النفوس إلى فطرتها، وحصنًا منيعًا - بعد مشيئة الله - من نزغات الشيطان ووساوس النفس وشرورها كما أنني حاولت قدر المستطاع اختصار مقاصده وجعل الحظ الأكبر للوحيين والآثار الصحاح، ليكون كأساس يُرجع له حين ضعف النفس وتمكن الشيطان منها.

الجزء الأول: التأسيس

الباب الأول: اعرف منزلتك

اعلم - رحمك الله - أنك لست إلا عبدًا خلقه الله من ماء مهين، بدايته من نطفة تُمنى، ونهايته جثة تفنى وإن حياتك ومماتك، وروحك وجسدك، وسمعك وبصرك، ورزقك وناصيتك بين يديه سبحانه وتعالى، يفعل بك ما يريد. إن شاء بعظيم رحمته رحمك، وإن شاء بتمام عدله أخذ بذنوبك، وأنه هو القاهر فوق عباده.

فإن اعتقدت بهذا الاعتقاد، علمت مقدار ضعفك ووهنك، وأنك لا تملك لنفسك ضرًا ولا نفعًا، وتحقق في قلبك توحيد الله وتوقيره وتعظيمه، وصدق اللجوء إليه، وصرت كلما نزلت بك مصيبة قلت: "مالك يتصرف في ملكه كيف يشاء"، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [1]

وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية: ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء. فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه.

ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجازى كل عامل بعمله. فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورًا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر. فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر[2].

ثم اعلم - رعاك الله - أنك إذا حققت المطلوب منك في الابتلاء صابرًا عند المحن وشاكرًا عند النعم، فأبشر بخيري الدنيا والآخرة، وهو ما دلت عليه الآية التي تليها: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3]

فتنال مطلوب كل إنسان في الدنيا وهو طمأنينة النفس واستقرارها، والتوفيق والتيسير والبركة في كل أمور دنياك علاوة على تكفير الذنوب ورفعة الدرجات في آخرتك، كما قال ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له[4].»

ثم اعلم يا أخا التوحيد أن من مسببات السخط ونفاد الصبر على المحن، هو الاعتقاد الخاطئ لحياة الإنسان في الدنيا، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

فقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ في شدة وطلب معيشة. وقال عكرمة: في شدة وطول. وقال قتادة: في مشقة[5].

وقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) متى الراحة يا إمام؟

قال: عند أول قدم توضع في الجنة[6].

فما دامت روحك مصاحبةً لجسدك فأنت لا زلت في دار شقاء لا رخاء. وكلما رسخ هذا الأمر عندك طابت نفسك، واطمأن قلبك، وارتاح بالك، وأيقنت أن كل ما فاتك من لذات الدنيا فهو ملاقيك بأحسن وأكرم منها في آخرتك.

وآخر ما أختم به هذا الباب وهو إعادة تصحيح معنى العبودية، وهي مسألة لا أرى من نفسي أهلًا للخوض فيها، لعظم مقامها ودقة جوانبها؛ ولذلك أوجهكم إلى محاضرة فضيلة الشيخ عبد الرزاق البدر بعنوان :تحقيق العبودية لله

الباب الثاني: سبب خلقك

الفصل الأول: العبادة

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[7]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[8]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[9]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحج 77]

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة المؤمنون 32]

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء 36]

ولكن قبل العبادة العامة تأتي عبادة خاصة أساس ولب كل شيء، ألا وهو العلم الشرعي وطلبه،

الفصل الثاني العلم الشرعي "وهو عبادة"

فكيف يتقي الله من لا يدري ما يتقي، وكيف يعبده من لا يدري كيف يعبده، فلا بد للمسلم أن يتعلم دينه ليرفع الجهل عن نفسه ويعبد الخالق حق عبادته.

وهنا يُلتفت إلى أمر مهم وهو ممن يؤخذ منه هذا العلم، فقد ورد في حديث صحيح: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين[10].»

وقال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا[11].»

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب 64-68]

فعديد من العوام يظن بمجرد اتباعه لفتوى شخص ملتحٍ أو يسمي نفسه شيخًا أن بهذا تبرأ ذمته، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك. فليس كل من هب ودب يؤخذ منه الدين، بل يؤخذ مِن مَن هم أهل لذلك، الذين مرجعيتهم الوحيين. كما قال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[12].»

ثم انتبه - رعاك الله - إذا ألانَ اللهُ قلبك للدين والعلم الشرعي، فاحذر أشد الحذر من اتّباع أو حتى السماع لغير علماء أهل السنة والجماعة والمشايخ الثقات.

كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: وَإِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَرْجِهْ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ مَعَ أَصْحَابِ الْبِدَعِ فَا يْئَسْ مِنْهُ، فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ». انتهى كلامه{46} .

فمع بدايتك في طلب العلم، لا تُلْقِ سمعك لمن يخوض في الشبهات أو الفتن، أو يطعن في الصحابة، أو يؤول الآيات، أو يشكك في صحة الأحاديث أو الآثار. وإياك أن يخدعك الشيطان بأنك طالبُ علمٍ ولن تتأثر؛ فإن هذه الأشياء، حتى وإن لم تتمكَّن من إزاغتك وزرع الشك في قلبك، فهي مضيعةٌ للأوقات، وتشغلك عمّا هو أولى وأهم؛ فالزم دروس العلماء في العقيدة، وما تحتاجه مما يصادفك في يومك وليلتك.

كما قيل لمالكٍ رحمه الله: ما تقول في طلب العلم؟ قال: «حَسَنٌ جميلٌ، لكن انظرِ الذي يَلزمُكَ من حين تُصبِحُ إلى أن تُمسِيَ فالزمه{47} .

فهذا هدف الشيطان: أن يشغلك بالمفضول عن الفاضل؛ كأن يشغلك بقيام الليل عن صلاة الفجر. وكذلك في العلم، يشغلك بالفروع لترك الفروض التي لا يسع لمسلم جهلها، كالعقيدة والطهارة والعبادة.

وفي نهاية هذا الباب أنصحكم ـ يا إخوتاه ـ وهي موجهة لي قبلكم، بلزوم العناية بكتاب الله: تدبّرًا، وفهمًا، وتلاوةً، وحفظًا؛ فتعلّمه والعمل به واجبٌ على كل مسلم، لا على طلاب العلم خاصة.

الباب الثالث: الاخلاص في النية

قال تعالى :وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (البينة 5)

قال تعالى :إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (الزمر 2 – 3)

قال تعالى :قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (الزمر 14)

قال تعالى :فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (غافر 14)

قال تعالى :الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (تبارك 2)

قال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ في قَولِه تعالى :لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا :)أخلَصُه وأصوَبُه؛ فإنَّ العَمَلَ إذا كان خالصًا ولَم يَكُنْ صوابًا لَم يُقبَلْ، وإذا كان صَوابًا ولَم يَكُنْ خالصًا لَم يُقبَلْ، حَتَّى يَكونَ خالصًا صَوابًا، والخالِصُ إذا كان للهِ، والصَّوابُ إذا كان على السُّنَّةِ) ((الإخلاص والنية)) لابن أبي الدنيا (22)، ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم .(95 /8)

وعن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال:

))الأعمالُ بالنِّيَّةِ، ولكُلِّ امرِئٍ ما نَوى؛ فمَن كانت هِجرَتُه إلى اللهِ ورَسولِه فهِجرتُه إلى اللهِ ورَسولِه، ومَن كانت هِجرتُه لدُنيا يُصيبُها أوِ امرَأةٍ يَتَزَوَّجُها، فهِجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه أخرجه البخاري(54)

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال قال اللهُ تَبارَكَ وتعالى: أنا أغنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّركِ، مَن عَمِل عَمَلًا أشرَكَ فيه مَعي غَيري تَرَكتُه وشِركَه أخرجه مسلم)

إنَّ اللهَ لا يَقبَلُ من العَمَلِ إلَّا ما كان له خالِصًا، وابتُغِيَ به وَجهُهُ أخرجه النسائي(3140)

الجزء الثاني: العوائق القلبية

الباب الأول: الابتلاء

ومن أجلّ ما سمعت عن الابتلاء هو قول شيخنا الطريفي – حفظه الله –: ولهذا نقول إن الله عز وجل إذا أنزل بلاء على الإنسان لا يعني أنه لا يحب العبد ولكن الله عز وجل بينه وبين عباده عقد أن الدنيا ليست لك، إن أصابتك فبإذن الله عز وجل هو اختبار وابتلاء وإن سلمك الله عز وجل في ذلك فاحمد الله سبحانه وتعالى وإنما الكرامة عند الله جل وعلا هي سلامة الدين، أن يحفظ الله عز وجل لك دينك، وإذا انتكس الإنسان عند أي نوع من البلاء فهو إشارة على شيء من المنة، فكأنما يقول ألم تبعني نفسك ومالك فلماذا تراجعت وانتكست إذا أنت لست صادق ببيعتك لست بصادق في بيعتك. انتهى

ولكن للابتلاء مسببات وهي:

الفصل الأول: المعاصي

فإن الله من تمام كرمه وعدله أنه لا يغير نعمته التي أنعمها على عبده إلا إذا صدر من العبد ذنب واتخذ الخطوة الأولى من تلقاء نفسه. وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: 11]

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 8-10]

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]

وقوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79]

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14]

رغم أن هذه الآية الأخيرة نزلت في المنافقين إلا أنه يُؤخذ منها عبرة عظيمة وموعظة بليغة.

تفسير ابن كثير :﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى، قد كنتم معنا، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ

وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وحتى بالنظر إلى من قبلنا، فما أهلك قوم لوط، وما مسخ أهل السبت إلى قردة، وما أُغرق فرعون وقومه وقوم نوح، وما خُسف بقارون، وما نزل العذاب على قوم عاد وثمود، وما أُهلك قوم شعيب - لولا ذنوبهم وعصيانهم لأوامر الله واتخاذهم الخطوة الأولى من تلقاء أنفسهم.

ثم إن هذا الأمر لم يقتصر على عامة العباد فقط، بل حتى أنبياء الله وخاصته لم تغنهم نبوتهم عن الله شيئًا. فآدم عليه السلام طُرد من الجنة بذنب، وكذا يونس عليه السلام ابتلعه الحوت ودخل في بطنه لأنه عصى أمر الله.

فقال تعالى واصفًا فعل آدم وزوجه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه: 121]

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الصافات: 142-144]

ثم إنه سبحانه جل وعلا، من تمام رحمته ولطفه بعباده، أنه تاب عليهم وأرشدنا بقصصهم لنتعظ. فذكر لنا قومًا عصوه فنالهم عقابه، وقومًا أذنبوا فتابوا فتاب عليهم.

وزيادة على ذلك، سبحانه هو الكريم، لا يغفر لهم فحسب، بل يزيد على ذلك من فضله كما ظهر في تكملة الآيات. قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 145-148]

ونفس الشيء تكرر مع آدم عليه السلام حين قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37]

ولكن إذا المرء لم يتب من ذنبه سوف يبقى شؤمه، كما في مختصر ما قاله ابن القيم رحمه الله عن آثار المعاصي:

قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله[16].

الفصل الثاني: علاقة الإيمان بالابتلاء

كثير من العوام يظن فور توبتك ستنقلب حياتك إلى جنة دنيوية، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك. فقد قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 2-3]

فإذا تبت وأنبت إلى الله فاستعد لابتلاءات فيما تبت منه، ليمحص الله الصادق من الكاذب.

ثم إن محمدًا ﷺ، وهو خير الخلق وأكرمهم عند الله، لم يسلم من ابتلاءاته سبحانه. فقد أوذي من قومه أشد الأذى ورُمي بالحجارة، وسُبَّ وشُتم، وقُذف عرضه، واتُّهم بالسحر والصرع.

وأيوب عليه السلام ابتُلي أشد البلاء في بدنه. ونوح ابتُلي بعقوق ابنه وتكذيب رسالته. ولوط أوذي في ضيفه وعصته زوجه. ويوسف أُدخل السجن ظلمًا وحُرم من أبيه.

فكلما كان الإنسان أصلح، وكلما كان أقوى دعوة إلى الله، وكلما كان أشد تمسكًا في دين الله؛ كان له أعداء أكثر، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: 31].

وقال ﷺ: «إنا كذلك، يشتد علينا البلاء ويُضاعف لنا الأجر فقال: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الصالحون، وقد كان

أحدهم يُبتلى بالفقر، حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويُبتلى بالقمل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء، من أحدكم بالعطاء[17].«

فهذه هي سنة الله الثابتة التي لا تتغير في خلقه.

نسأل الله الثبات.

الفصل الثالث: فضل البلاء على أهله

فرغم ما تراه من عظيم المصائب التي تنزل على العبد المؤمن، والتي قد يرق فؤادك لسماعها ويتعب عقلك بالتفكر فيها - فما أدراك بعيشها! - إلا أنك تجده صابرًا وراضيًا، بل وحامدًا الله أنه جعله في طريق مرَّ منه أنبياء الله ورسله.

بل وجمع من السلف "كانوا يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتُوُهِّم فيهم الألوهية وليتوهن على الأمة الصبر على البلية، ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعًا والتجاء إلى الله تعالى[18]."

وهذا كله من رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ومن عظيم لطفه بعباده أنه يقذف في قلب المؤمن المخلص المبتلى شيئًا من الاطمئنان، ويخلع من قلبه حب الدنيا وزخرفها، ويُريها له على وجهها الحقيقي.

كما وصفه شيخ الإسلام رحمه الله حين هددوه إذا لم يتراجع عن قول الحق، فقال لهم: "ما أنتم فاعلون بي؟ فإن سجني خلوة، وتعذيبي جهاد، وقتلي شهادة." فسبحان الله حين قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: 286]

وحين قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 43]

وحين قال: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 156]

وكذلك قوله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له[19].»

وكذلك قوله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وصَب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه[20].»

وقال ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة[21].»

فاعلم – رحمك الله – أن البلاء من سِيَم الأنبياء والصالحين، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: 214]

الباب الثاني: انتكاسة الصالحين

الفصل الأول: معناها

الانتكاس عند كثير من العوام سطحي جدًا، فالأكثرية يظنون أنه من كان على رشاد ثم انغمر في المعاصي واللذات وترك الذكر والعبادات فهذا المنتكس.

ولكن هنالك انتكاسة أخرى خفية يغفل عنها الغالب، وهي أشد خطرًا من الانتكاسة الكبرى، والتي أسميها انتكاسة الصالحين، وهي الرجوع أو التقليل من العبادات، وشرها يكمن إذا لم تنتبه لها، فهي من خطوات الشيطان.

فإن كنت أمس تقيم ليلك وتصوم نهارك وتحافظ على أذكارك ووردك، والنوافل عندك كمثل الفرض، واليوم ما بقي إلا الصلوات الخمس التي بحد ذاتها قد تقصر فيها وتستهين بطلوع وقتها – فهذا انتكاس.

وخطورته هي أنك لا تستشعر انتكاستك، بل وتظن أنك على الطريق الحق، على خلاف الانتكاسة الكبرى التي تكون ظاهرة ومحسوسة وأثرها على نفسك غليظ.

فتظن أنك سليم، ولكنك تُطبخ على نار هادئة، تقودك للهلاك، فإما تنقذ نفسك قبل سقوطها، وإما تتجاهلها فتنتهي بك نحو الانتكاسة الكبرى.

فإن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لا يأتيانك بالكبيرة، فهم يعلمان عظمتها في قلبك، بل يهبطان معك من ترك المستحبات إلى الإنقاص من السنن، إلى الاستهانة بالواجبات والفروض!! ومن ثمَّ إلى موت القلب نسأل الله العافية.

الفصل الثاني: الوقاية منها

سبحان الذي جعل في القرآن شفاء وبيانًا لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف 200–201]

فأخبرنا تعالى بالحل وهو الاستعاذة بالله، فهي خير وقاية ودواء معًا .وقال السعدي رحمه الله في تفسير الآية :في أي حال ينزغنك من الشيطان نزغٌ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على

الشر، وإيعاز إليه. فاستعذ بالله أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه سميع لما تقول. عليم بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطًا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أُتِيَ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئًا حسيرًا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه. انتهى ,من تفسير السعدي

ثم إن أكثر ما يثبت القلب ويزيد عزيمته وإيمانه ويبعده عن الانتكاس والغفلة، هو دروس العلماء ومحاضراتهم ومجالس العلم.

كما هو معلوم ان صحابة رسول الله ﷺ هم اعلا الناس ايماننا واخلاصا ,ومع ذلك ورد في حديث صحيح ان حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول

الله صلى الله عليه وسلم، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات[22].

فأبو بكر الذي قال عنه لو كنتُ متَّخذًا من أَهْلِ الأرضِ خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا (23) واشتكى أنه إذا فارق مجلس العلم - الذي هو مجالسة الرسول ﷺ - نقص إيمانه عما كان عليه، فما أدراك بنا نحن الضعفاء، نسأل الله الثبات.

والأمر الثاني هو القراءة في سير النبلاء والصالحين. فرغم كبر هممهم وكثرة عبادتهم ومبلغ علمهم، إلا أنهم أشد الناس خوفًا من الانتكاس والنفاق ومن حبوط العمل.

فبالنظر إلى حالهم تستوعب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: 28]

وبهذا - بعد مشيئة الله - تثبت على الدين الثبات العجيب، وتتسع بصيرتك وتظهر لك حقيقة الحياة. والموفق حقًا هو من أنعم الله عليه بهذه النعمة التي لا تعادلها نعم الدنيا بأسرها.

الباب الثالث: الظن

الفصل الأول: سوء الظن

اعلم - رحمك الله - أن سوء الظن بالله ما هو إلا من جنس أعمال المنافقين. فقد قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح: 6]

وقال ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية: "وظنَّ به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم[24]."

وقال تعالى واصفًا ضعفاء الإيمان المتخلفين عن الجهاد مع الرسول ﷺ:

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا * وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [سورة الفتح 12-13]

قال الإمام السعدي رحمه الله: يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفًا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعًا لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء.

وقال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾

وقال الإمام السعدي رحمة الله عليه، في تفسير الآية:

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة[25].

ثم اعلم - رحمك الله - أن سوء الظن من تلبيس الشيطان للمسلمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران 175]

وكذلك قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة 268]

فالخوف الشديد من المستقبل وتقلبات الحياة وما تخفيه في طياتها، كل ذلك من سوء الظن بالله الذي يقذفه الشيطان في قلب المسلم كي يكدر عليه يومه وبهذا تقل عباداته وتزيد غفلته وقد تورث وحشة بين العبد وبين ربه.

الفصل الثاني: حسن الظن

ثم اعلم - رحمك الله - كما أن سوء الظن من جنس عمل المنافقين، فإن حسن الظن بالله من صفات المؤمنين. كما قال تعالى:

﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾

وقال الإمام السعدي رحمة الله عليه، في تفسير الآية: ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرًا، وهو السلامة مما رُمُوا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل، ﴿وَقَالُوا﴾ بسبب ذلك الظن ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة، ﴿هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ أي: كذب وبهتان. انتهى من تفسير السعدي

وفي حديث صحيح: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن[13].»

فما رُزق عبد خيرًا من حسن الظن بالله، فهو السعيد حقًا وقد أنعم الله عليه بنعمة لا تداريها نعمة، كيف لا وهي صلب خصال المؤمن، وهو ما يقيس به المرء كمال إيمانه من نقصه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والذي لا إله غيره ما أُعطي عبد مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه؛ ذلك بأن الخير في يده[14]."

وقال تعالى واصفًا حال عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران 173-174]

فرغم حصارهم وضعفهم إلا أنهم أحسنوا الظن بالله، فكان الجزاء أن نالتهم رحمته الواسعة ونعمته الفاضلة وأجارهم من كل سوء.

فمن أحسن الظن به لن يرد رجاءه وسيفتح له أبواب رحمته ويغفر له إذا استغفر ويؤتيه سؤله إذا سأله ويجيب دعاءه إذا دعاه ويعيذه مما تعوذ منه وينزل عليه سكينته ويستر زلته ويعطيه حاجته وطلبه، ولكن لا بد من الامتحان والاختبار قبل ذلك ليميز الله الصادق ممن هو دون ذلك.

الفصل الثالث: أخطاء منتشرة حول حسن الظن

البعض يربط التمادي في المعاصي بحسن الظن بالله وهذا من جهله وضعف علمه بالله عز وجل، كمثل قول بعض الحمقى: "أكثر ما استطعت من المعاصي إذا كان القدوم على كريم" وهذا من أشر الأقوال، فقد ورد في أثر صحيح عن أبي سليمان الداراني يقول: «من حسن ظنه بالله عز وجل، ثم لا يخاف الله فهو مخدوع[15].»

فإن حسن الظن بالله يستلزم اجتناب نواهيه والإتيان بأوامره، وهو أكثر ما يزيد خشية الله وتوقيره.

فكلما عرفت الله من أسمائه وصفاته حسن ظنك به وزدت خشية من غضبه وسخطه كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

[سورة فاطر 28]

الباب الرابع: احتقار النفس واستصغارها

قال ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرًا لله فيه مقال، فلا يقول فيه، فيُقال له: ما منعك؟ فيقول: مخافة الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخاف!!

وهدا ليس داعي للتكبر والتسلط، قال تعالى :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ]النحل: 125[

قال السَّعديُّ: (أي: ليَكُنْ دُعاؤُك للخَلقِ -مُسلِمِهم وكافِرِهم- إلى سَبيلِ رَبِّك المُستَقيمِ المُشتَمِلِ على العِلمِ النَّافِعِ والعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْحِكْمَةِ أي: كُلُّ أحَدٍ على حَسَبِ حالِه وفَهمِه وقَولِه وانقيادِه. ومِنَ الحِكمةِ الدَّعوةُ بالعِلمِ لا بالجَهلِ، والبَداءةُ بالأهَمِّ فالأهَمِّ، وبالأقرَبِ إلى الأذهانِ والفَهمِ، وبما يَكونُ قَبولُه أتَمَّ، وبالرِّفقِ واللِّينِ. فإنِ انقادَ بالحِكمةِ، وإلَّا فيَنتَقِلُ مَعَه بالدَّعوةِ بالمَوعِظةِ الحَسَنةِ ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص: 452) .

ولكن لا بد للمسلم يكون له عزة نفس تبعده عن التذلل والوهن كما قال تعالى مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ [سورة فاطر 10]

وقال تعالى ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا [سورة النساء 139]

وقال تعالى يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ

وقال السعدي في تفسير الاية وقال: لئن رجعنا إلى المدينة { لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ } بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين الأعزون، وأن رسول الله ومن معه هم الأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلهذا قال [تعالى:] {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } فهم الأعزاء، والمنافقون وإخوانهم من الكفار [هم] الأذلاء. {وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } ذلك زعموا أنهم الأعزاء، اغترارًا بما هم عليه من الباطل، انتهى. من تفسير السعدي

الفصل الثاني الهم والحزن

فأما الحزن فهو مذموم على كل صوره كما قال ابن القيم في مدارج السالكين :"، ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيا عنه ، أو منفيا . كقوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وقوله : ولا تحزن عليهم في غير موضع ، وقوله : لا تحزن إن الله معنا والمنفي كقوله : فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فانه لا مصلحة فيه للقلب ، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره ، ويوقفه عن سلوكه ، قال الله تعالى إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ونهى ﷺ أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث ، لأن ذلك يحزنه . فالحزن ليس بمطلوب ، ولا مقصود ، ولا فيه فائدة ، وقد استعاذ منه ﷺ" انتهى. من [ص: 501]

واثره هو والهم على النفس غيلظ ولولا ذاك لما كان سيد الخلق ﷺ كثير التعوذ منهما كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك: فكنت أسمعه كثيرًا يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال[26].«

وحله هو التعوذ منه والتزام حديث عبد الله بن مسعود: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو

استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحًا» قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: «أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن[27].»

وأيضا من سبل رفعه معرفتك ان الهم مرتبط بالمستقبل، فكيف لمؤمن يؤمن بقضاء الله والقدر ثم يخاف ماهو آت وانا اقصد الخوف الشديد الذي يفضي بصاحبه للهلاك، لا التخطيط ولذلك قال تعالى وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ(سورة الأنفال 60

وأما الحزن فكما هو معلوم ان مصدره من الماضي، وأكرر نفس الحجة وهي انه لا يليق بعبد يؤمن بقدر الله وقدره ان يحزن على ما شاء الله فكان – وهنا أيضا لا أعني عدم التفكر فيما مضى لتطوير النفس -كما جاء من حديث ابي هريرة المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير .احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان. أخرجه ابن ماجه(79)

الجزء الثالث: المسببات

الباب الأول: مجلبات حب الله ورضاه

الفاصل الأول: طرق نيل محبة الله

إن من لطف الله بعباده ومن رحمته الواسعة، أنه بين لعباده الطرق المؤدية إلى محبته وبين لهم ما يناله العبد من عظيم مكاسب إذا نال محبته.

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وقال الإمام السعدي رحمه الله:

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبًا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها

غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.

ثم بين لنا رسوله الكريم ﷺ في حديث قدسي: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت، وأنا أكره مساءته[28].»

الفصل الثاني: ذكر الله وفضله

ذكر الله لها من الفوائد ما يسع جمعه كما ذكر ابن القيم في كتابه الوابل الصيب قائلا أن للذكر أكثر من مئة فائدة، ولكن الذي بدا لي من اعلاها واجلها وما يرتبط بمحتوى هذا الكتيب هو:

الفضل الأول وهو ذكر الله لك الذي لوحده كافي لعظم مقامه، قال تعالى: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (48)

وعن أبي هرَيرةَ قال ﷺ: ((يقولُ اللهُ تعالى: أنا عند ظَنِّ عَبدي بي، وأنا معه إذا ذكَرَني؛ فإنْ ذكَرَني في نَفسِه ذكَرتُه في نفسي، وإن ذكَرَني في

ملأٍ ذكَرتُه في ملأٍ خَيرٍ منه، وإن تَقَرَّبَ إليَّ بشِبرٍ تَقَرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإن تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعًا تَقَرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يَمشي أتَيتُه هَرولةً)) (52)

وعنه رضي الله عنه، قال ﷺ: ((إنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقولُ: أنا مَعَ عَبدي إذا هو ذَكَرَني وتَحَرَّكَت بي شَفَتاه)) (51)

وفي شرح هذا الحديث: وهذه المعية معية خاصة، تقتضي الحفظ والتسديد والتوفيق، وقدرته ومشيئته نافذة فيهم؛ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. انتهى من الدرر السنية.

الفضل الثاني: الطمأنينة وإزالة الهم والغم

قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (49)

قال ابن القيّم رحمه الله: "من شاء أن يسكن رياض الجنّة في الدنيا فليستوطن مجالس الذِّكر، فإنّها رياض الجنّة" (50)

الفضل الثالث: التحصن من مصدر الشرور ألا وهو الشيطان كما ورد في حديث صحيح من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي (53)

وما تبقى من عظيم فوائد تجدها في كتاب الوابل الصيب في الكلم الطيب لابن القيم الجوزية رحمه الله

الفصل الثاني: ثمار محبة الله

قال ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض[29].»

وهنا ملاحظة بسيطة: وهي أنه قد يخطر ببال أحد الناس بعد سماع الحديث، أن القبول شامل لكل بني آدم ولكن الحقيقة على خلاف ذلك، فالقبول المعني هو محبة أهل الحق وأهل الصلاح وأهل الإيمان والتوحيد لك، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم 96]

بل إن بُغض أهل الفساد والمعاصي لك، هي شيء محمود فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [سورة الإسراء 45-46]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة الزمر 45]

فإن من فطرة الله في العباد أنه من تقابلت وتشابهت قلوبهم، تحاببوا فيما بينهم ورأى كل واحد منهم الآخر مقبولًا ومحبوبًا.

نعود إلى موضوعنا وهو ثمار حب الله؛ فإن من أعظم الثمار وأجلها أن يوفقك للآخرة كما قال ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من أحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن مقدمات مجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات[30].**»

وكذلك يحميه في الدنيا من كل ما يضر دينه كما قال ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء[31].**»

وبعد كل هذا يرزقه الله تعالى أعظم نعمة قد يتحصل عليها إنسان في هذه الدنيا وهي العلم الشرعي فقال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين[32].**»

فليس كثرة المال والحياة البهية علامة على حب الله للعبد، ولو كان كذلك لما كان الكفار والملحدون متمكنين في الدنيا، فالله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولكن لا يعطي الإيمان إلا من يحب، فأول علامات محبة الله لك: أن الله تعالى جعلك مؤمنًا، ولم يجعلك كافرًا، فإذا رأيت نفسك تسير في طريق الصالحين، وتنهج

منهجهم، وتحب مجالستهم، وتعمل كأعمالهم، فاعلم أن الله عز وجل قد أحبك، بأن أنار بصيرتك نحو طريق الحق، فالزمه وعضَّ عليه بالنواجذ، وأما إذا رأيت خلاف ذلك، فاعلم أنك تسير في طريق الشقاء والنار، والعياذ بالله.

الفصل الثاني: ماحيات الذنوب

فكما هو معلوم أن للمعصية شؤمًا وآثارًا على النفس والقلب وحتى البدن كما تقدم ذكره في باب الذنوب.

ومع ذلك سبحان الله من رحمته أوجد التوبة بحيث أن العبد إذا أذنب ذنبًا ثم تاب منه توبة نصوحًا وأقلع عنه وندم واستغفر ولم يعد إليه تاب الله عليه، وعامله معاملة من لم يذنب، بل وبدل سيئاته حسنات وأحبه وجعله من عباده المتقين.

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا زال الذنب زالت عقوباته وموجباته[33]."

وقال ابن القيم رحمه الله: "فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا محي أثر الذنب بالتوبة صار وجوده كعدمه فكأنه لم يكن[34]."

وقال القاري رحمه الله: "اعلم أن التوبة إذا وُجدت بشروطها المعتبرة، فلا شك في قبولها وترتب المغفرة عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ

الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: 25]، ولا يجوز الخلف في إخباره ووعده[35]."

ومن عظيم كرمه ورحمته أنه دلنا في السنة الشريفة على أعمال يسيرة تغفر بها الخطايا:

فعن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه[36].»

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة؛ حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[37].»

وعن عبد الله بن مسعود قال: «لا يقول رجل أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات إلا غفر له وإن كان فر من الزحف[38].»

الباب الثاني: مسببات غضب الله وسخطه

فإن من رحمة الله بعباده أنه بين لهم سبل نيل محبته كما بين لهم مجلبات غضبه وسخطه ، فان كل ما ثبت فيه وعيد أو جاء بالنهي ففعله موجب لحلول غضب الله بالعبد، من بينها:

الفصل الأول: الكفر والشرك

فلا بد للمسلم أن يتفقه في الشرك لئلا يحبط عمله وهو لا يدري ،مثل تعليق التمائم بنية طرد العين والحسد وغيرها ،فصدق القائل:

عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَرِ ولَكِن لِتَوَقّيهِ   وَمَن لَم يَعرِفِ الشَرَّ مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ

فالشرك ظلم عظيم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء 48]

وقال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج 31]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء 136]

ومن هذا الباب أدعوكم يا إخوتاه إلى قراءة كتاب التوحيد الذي هو من أيسر الكتب لمعرفة خفايا الشرك التي قد يقع فيها المرء بجهله ولكنك لا بد الزامًا من شرح شيخ ثقة مثل ابن العثيمين رحمه الله –

الفصل الثاني: الذنوب الثابتة بالوعيد

العديد من عوام المسلمين يعصي الله وقد يتخذ ذلك عادة وهو لا يدري حكمها في الشرع بل تجده من يقع في كبائر الذنوب، كالإسبال [43] وعدم التنزه من البول أعزكم الله[44].

وغيرها، فكما هو معلوم أن الكبائر لا تُغتفر مع باقي ماحيات الذنوب، بل تتطلب توبة من الذنب بعينه. ثم إن المعاصي كما قال ﷺ من حديث أبي هريرة: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[45].»

ومن هذا الموضع أنصحكم يا إخوتاه بكتاب يسير وخفيف وهو الكبائر لشمس الدين الذهبي بحيث أن صفحاته محدودة وكلامه قليل، بل كله أحاديث وآيات وآثار صحيحة.

الباب الثالث: التقوى

الفصل الأول: تعريفها

قال أبو عبد الله التونسي: "حقيقة التقوى عبارة عن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات[39]."

ومن التعريفات الجميلة للتقوى التي ذكرها بعض المتأخرين: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[40]."

وقال ابن باز رحمه الله: "تقوى الله سبحانه، هي عبادته، بفعل الأوامر وترك النواهي عن خوف من الله وعن رغبة فيما عنده، وعن خشية له سبحانه، وعن تعظيم لحرماته، وعن محبة صادقة له سبحانه ولرسوله[41]."

الفصل الثاني: فضلها

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: ضاق بي أمر أوجب غمًا لازمًا دائمًا، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقًا للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج[42].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران 76]

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران 133]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الحجر 45]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [سورة مريم 85]

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [سورة مريم 97]

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الشعراء 90]

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [سورة ص 49]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [سورة الدخان 51]

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [سورة ق 31]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [سورة النبأ 31-36]

الباب الرابع: أثر المحيط على الجوارح

كانت للعرب قديمًا مقولة تردد كثيرًا، وهي أن الإنسان ابن بيئته، ولكن هنالك ما هو أدق منها وأشمل، وهي أن المرء يفيض مما ملأ به سمعه وبصره. فمن أكثر السماع - حتى بدون المخالطة والمجالسة - لأهل المعاصي تشبع فكره بنجاسة أفعالهم ولو كان مجاورًا - جسدًا - لأبي بكر وعمر.

ولذلك أمرنا الله تعالى في قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء 140]

فإن السماع هو مفتاح القلب، وما سمي قلبًا إلا لشدة تقلبه وسهولة ميوله وانحرافه، والقلب هو المحدد كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]

وكما أن السماع للفاسدين يفسد، فإن السماع لأهل الصلاح يصلح، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة 6]

وقس على ذلك في كل مجال، فمن شاء فصاحة أكثر الإنصات ومجالسة أهل الأدب عقلًا وبدنًا، ومن شاء هداية أكثر من سماع محاضرات العلماء الربانيين وحضور مجالسهم ومخالطة أخيار تلامذتهم، ومن أراد ضياعًا لدينه ودنياه، وعقله وفؤاده، وانحراف فكره فليلزم الإنصات لكل ما هب ودب، ولن يلاحظ سوء فعلته لهم إلا بعد ضياع عمره وفناء جسده وتدني فكره ووعيه، فلا منقذ له من بعد ذلك إلا إذا بعث الله له من ينير بصيرته رحمة من لدنه..

المراجع

[1]سورة البقرة 156

[2]تفسير السعدي - تيسير الكريم الرحمن - ص75

[3]سورة البقرة 157

[4]صحيح الترمذي 2465

[5]تفسير ابن كثير - البلد 4

[6]كتاب طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ت الفقي - ج1 ص293

[7]سورة الذاريات 56

[8]سورة البقرة 21

[9]سورة النحل 36

[10]صحيح الترمذي 2229

[11]أخرجه الترمذي (2652)

[12]التمهيد 331/24

[13]صحيح مسلم 2877

[14]كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا - ص96

[15]كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص40

[16]كتاب الفوائد صفحة 33

[17]صحيح الأدب المفرد 395

[18]كتاب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج5 ص256

[19]صحيح مسلم 2999

[20]صحيح البخاري 5642

[21]صحيح ابن حبان 2913

[22]صحيح مسلم 2750

[23]الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 61

[24]الداء والدواء ص138

[25]تفسير السعدي - سورة فصلت آية 23

[26]أخرجه مسلم (1365)

[27] أخرجه أحمد 3712

[28]صحيح البخاري 6502

[29]أخرجه البخاري [] (6040)

30 السلسلة الصحيحة 482/6

[31] السلسلة الصحيحة 2036

[32]صحيح البخاري 71

[33]شرح العمدة 4/39)

[34] (طريق الهجرتين (ص: 231)

[35]مرقاة المفاتيح(4/ 1637)

[36] أخرجه أبو داود4023)

37 أخرجه البخاري(6405)

[38]أخرجه الطبراني[] (103 /9)

39 كتاب التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها [عمر سليمان الأشقر]

الصفحة من 9 إلى 11

[40]المرجع السابق

[41]المرجع السابق

[42]كتاب صيد الخاطر ص 204

[43]وقال النبي ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار» - كتاب الكبائر لشمس الدين

الذهبي الصفحة 215

[44] قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول» أي لا يتحرز منه - مخرج في الصحيحين

45. أخرجه الترمذي (3334)، والنسائي في

((الكبرى)) (11594)، وابن حبان (2787) واللفظ لهم

46. ص577 - كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية

47. كتاب سير أعلام النبلاء، ط الرسالة/ الجزء

8، صفحة 97.

48. البقرة 152

49. الرعد 28

50. ص29 - كتاب فقه الأدعية والأذكار - فضل مجالس الذكر - المكتبة الشاملة

51. أخرجه ابن ماجة(3792)

52. أخرجه البخاري(7405)

53. أخرجه أبو داود(5077)

الفهرس

الجزء الأول: التأسيس...2

الباب الأول: اعرف منزلتك 2

الباب الثاني: سبب خلقك..4

الفصل الأول: العبادة...4

الفصل الثاني العلم الشرعي "وهو عبادة" 5

الباب الثالث: الاخلاص في النية..7

الجزء الثاني: العوائق القلبية...10

الباب الأول: الابتلاء..10

الفصل الأول: المعاصي 10

الفصل الثاني: علاقة الإيمان بالابتلاء 14

الفصل الثالث: فضل البلاء على أهله..15

الباب الثاني: انتكاسة الصالحين 17

الفصل الأول: معناها...17

الفصل الثاني: الوقاية منها...18

الباب الثالث: الظن 21

الفصل الأول: سوء الظن...21

الفصل الثاني: حسن الظن 23

الفصل الثالث: أخطاء منتشرة حول حسن الظن 25

الباب الرابع: احتقار النفس واستصغارها..26
الفصل الثاني الهم والحزن 28
الجزء الثالث: المسببات..30
الباب الأول: مجلبات حب الله ورضاه...30
الفاصل الأول: طرق نيل محبة الله..30
الفصل الثاني: ثمار محبة الله...33
الفصل الثاني: ماحيات الذنوب..35
الباب الثاني: مسببات غضب الله وسخطه...36
الفصل الأول: الكفر والشرك...37
الفصل الثاني: الذنوب الثابتة بالوعيد...38
الباب الثالث: التقوى 39
الفصل الأول: تعريفها...39
الفصل الثاني: فضلها..39
الباب الرابع: أثر المحيط على الجوارح...41
المراجع..0
الفهرس 44